كنز المعارف

للعلامة سيدي أحمد سكيرج رضي الله عنه

تحقيق ذ محمد الراضي كنون
الإدريسي الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على الفاتح الخاتم و آله و صحبه و سلم تسليما

كنز المعارف[1]

الحمْد لله كما ينبغي لجلاله، وَالشكر له على كمال إنعامه وإفضاله، وَالصَّلاة والسّلام على ينبوع النعم، ومَعدن الفضل والكرم، سيدنا محمّد بن عبد الله، وعلى كل من والاه، وَبعد، فيقول الفقير إلى ربه أحمد سكيرج، أمنه الله في الدارين في الحياة وَبعد الممات، هذا بحول الله تويلف أعنونه بكنز المعارف، أقيّد فيه كل مَا استفدته من غير تأنُّق في الخطاب، ولا تقيُّد بموضوع خاص في إيجاز أو إطناب، وَإنما أكتب ذلك على حسب ما سنح لي ذكره خشية نسيانه، وقصدا لإفادة من وقف عليْه، سائلا من المولى النفع لي ولمَن نظر فيه بعين الرضا، ودعا لي بما يحبه لنفسه من الرحمة الدائمة والألطاف الخفية والمغفرة التّامة، فَإن الدعاء ينفع في ظهر الغيب[2]، وَلله خزائن لا تنفذ بالإنفاق، وَهو سبحانه المرجو في كفاية ما أهم وما لم يهم، وَصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمّد وآله وصحبه مدا الدوام.

رؤيا في صباح 15 شعبان عام 1334 هـ:

رأيت نفسي كأني بمراكش، وَاجتمعت فيها بجماعة من الأعيان ذوي شيبة منورة، ولم أكن أعرفهم، غير أنّي قلت مظهرا لمعرفتهم هذا فلان وهذا فلان كأنني أعرفهم، وَمن جملة من سمَّيته منهم رجل ذو وجه منور وهيأة جميلة، فقلت: هذا سيدي جعْفر الكتاني المراكشي، فصاروا يتعجبون من ذلك، ثمّ شرعت في مدحه بقصيدة لم تتم، واستيقظت ومطلعها على حافظتي وهو:

علوت على أعلى العلا في المعالي   وفقتَ وسدت في الورى كل عَالم

.إهـ..

أقول استحضرت في هذه الرؤيا شيخنا العلامة الفاضل أبا محمّد سيدي جعفر الكتاني الفاسي[3]، وأظهرت في الرؤيا المذكورة أنه غير المرئي، فلذلك قلت المراكشي، وَشيخنا

---

[1]- هو من عداد كنانيشه القديمة، شرع في تدوينه بمدينة فاس، إبان عمله كناظر لأحباس فاس الجديد ما بين عامي 1332 هـ-1336 هـ موافق 1914م-1918م. ويظهر من مطلع عنوانه ومقدمته أن الغاية منه كانت منصبة على جمع غرر الفوائد والمعلومات، سواء منها ذات الصلة بالميدان العلمي، أو بالأدب والأخلاق والتصوف، مع ذكر بعض الأشعار اللطيفة والمواعظ، إلى جانب بعض المجربات الإقتصادية التي يُرْجَى أن تعود بالنفع والفائدة على عامة الناس.

[2]- إشارة للحديث الصحيح المروي عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من عبد مسلمٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملكُ: ولك بمثل. رواه الإمام مسلم في صحيحه (كتاب الذكر والدعاء). باب فضل الدعاء للمسلمين رقم 6877.

[3]- سبق التعريف به ضمن الجزء الأول من هذا الكتاب

المذكور هو رجل كبير السن وَالقدر، كَانَ من أفاضل علماء القرويين الذين بالغوا في إفادة العامّة وَالخاصّة، وقد حضرتُ بين العلمين لمجلس وعْظه، وَهو على كرسيه المرتب فيه، كنت أقصده حَالة توريقه من جملة المستمعين، وكنت أتأسّف على أن فاتني الحضور بمجالس تدريسه، حيث إنه كان يترك التدريس في ذلك الإبان، وَأعلل نفسي بأنه حيث فاتني تدريسه فإنه لم يفتني بحمد الله حضور مجلس توريقه وَالسَّماع من لفظه ووعظه المؤثر في النفوس، فهو بذلك من شيوخنا الجلة قدس الله روحه في الجنّة، وَقد صدحت القريحة في رثاه هنا فقالت:

عَلام عينك قد فَاضــت منابعهـــا ... وَاصفرّ للنفس منك اليوم يَانعهـــا
وَلم تكن قبل هذا اليوم في جـــزع ... وَاليوْم عينك قد جرت مدامعهـــا
مَا ذاك إلا لأمْر لا تطيـــق لـــه ... صبرًا فأوجع منك النفس فاجعهـا
كأنّ ما بك من فقد الإمـــام أبـــي ... محمّد جعْفــر للنفـــس باخعهـــا
مهلا عليـــك فإنّ الله قدّس فـــــي ... جناتـــه روحـــه وَازدَانَ طَالعها
فإن تكن أنتَ تبكيـــه فقد فرحـــت ... به من الجنة العليـــا مَوَاضعهـــا
لقد تلقته بالهنـــــــا مَلائكـــــة ... وفي العلا ازدهرت بهم شوارعها
لم لا وَقد كان في علم وَفي عمَـــل ... فردًا وكم من نفوس فهو نافعهـــا
أحيى علومًا وَأفْنى الجهْل وابتهجت ... به الصُّدور بما منــه يطاوعهـــا
وكم أزال عَن العقول من حجـــب ... به تديَّــن عاصيهـــا وَطائعُهـــا
فلا مزيَّـــة إلا حَـــاز جيدهـــا ... ولا فضيلـــة إلا وَهو جامعهـا
بالإرث حَاز كَمالا وَاشترى رتبـًا ... في الفَضل غالية ســوَاه بائعُهـا
أعَار للشمس نـورا منه فابتهجـت ... به ولولاه لم تشـــرق مطالعُهـــا
من مثله كانت الأقــدام تقصـــده ... ولم يخب فيه للنفـوس طامعهـــا
فكان مانـــح فضل جل موقعـــه ... في أنفس غيره بالبخـــل مانعهـا
فلا كرامـــة إلا وهو كاسيهـــا ... ولا حميـــدة إلا وهو زارعهـــا
وَلا فضائل إلا وهو حاصدهـــا ... ولا كرامـــة إلا وهو وَازعُهـــا
فالله أســـأل أن يديـــم رحمتَـــه ... عليه حتّى يعـم الخلق وَاسعُهـــا

فائدة من فوائد السيد أبي بكر المصري[1]

وهو من الأمور التي كان يستعملها للحضرة الحسنيّة أيام المصيف لاستخراج الأرياح المزمنة المعكوسة كالقولنج وشبهه، وذلك أن يؤخذ قدر من المزهر المعروف عندنا بالمغرب بالزريرق، وبالإسكندرية برأس الهدهد، ويوزن مع أغصانه ويطبخ ثم يجعل في مائه بعد

[1]- أبو بكر المصري المكاوي، فقيه مشارك مطلع، له معرفة واسعة بعلم السيمياء والتنجيم، كان السلطان مولانا الحسن الأول يجله ويتتلمذ له، خصوصًا في مجال علم الحروف وما إليها، والمعروف عن هذا الشخص أنه مشرقي الأصل من بلاد الحجاز، وقد استوطن مدينة فاس ولقي بها ترحيبًا من طرف أهلها، إلى أن أدركته المنية بها عام 1336 هـ- 1918م. ودفن بضريح الشيخ المزالي داخل باب عجيسة. أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 2: 420. موسوعة أعلام المغرب 8: 2902.

الطبخ ثلاثة أمثاله سكر، لكونه مرا، ويعقد شرابا، ويؤخذ منه أكلا وقت الحاجة معلقة تحل بماء مطلق، ويشرب، فهو نافع كاف لجميع الأرياح. قال: وَالبري أحسن من البستاني، لا سيما النوع الذي على أوراق نوره صورة ألف، قال: والقاعدة في كل ما هو مر أن يجعل فيه ثلاثة أمثاله سكرا، فإن خفت المرارة فمثلاه، ثم مثل لغيره، وهذا الزهر هو الذي إذا أكله المهر يخرج منه البادزهير، وهو أنواع، من أنواعه النوع المعروف بالحكم الأصفر.

فائدة

فائدة النوم راحة الحواس، وأول ما تنام: القوة الباصرة، ثم تتبعها السامعة، ثم ما بقي من الحواس الخمسة، ثم الدماغ، فإن نامت الحواس دون الدماغ رأى الإنسان الأحلام، فالنوم التام هو ما لا أحلام معه.

فائدة في الطبخ بلا نار

السر في ذلك وضع القدر التي فيها الطبخ على النار حتى تبتدئ تغلي، ثم رفعها عن النار ووضعها حالا في صندوق فيه هشيم أو تبن أو ما أشبه ذلك، وإغلاق الصندوق بضبط، ويجوز لف القدر بصوف أو غيره، والغاية حفظ الحرارة التي في القدر، فينضج الطبخ كأنه على النار، غير أنه سيشغل بذلك وقتا أطول من الوقت الذي يشغله على النار، بما يقتضي إنضاجه نصف ساعة على النار يقتضي ساعة في الصندوق، وهذه الطريقة توافق الرز والبقول التي لا تحتاج إلى نار قوية، فالنّار الواحدة كافية لطبخ أشكال كثيرة.

حفظ البيض من الفساد

لحفظ البيض طرائق كثيرة مختلفة، وقد أراد بعضهم أن يجرب تلك الطرائق ليرى أيها هو أفضل، فجمع بيضا كثيرا وعالجه بحسب وتركه من أول حزيران إلى آخر شباط، ثم عاد ففحصه فوجده كما يلي:

من 100 بيضة غطست في الماء المالح 100 فاسدة
من 100 بيضة لفت بالورق 80 فاسدة
من 100 بيضة حفظت في النخالة 70 فاسدة
من 100 بيضة وضعت في محلول الشب 50 فاسدة
من 100 بيضة حفظت في الرماد 20 فاسدة
من 100 بيضة حفظت في دقيق الفحم 20 فاسدة
من 100 بيضة حفظت في ماء الكلس، لا شيء فاسد

وبما أن الطريقة الأخيرة هي أحسن الطرائق فضلا عن أنها قريبة المتناول على كل الناس، ولا تكلف نفقة، فبيانها ضع في وعاء عشرة كيلوغرامات من الماء العادي، ثم أضف إلى الماء نصف كيلوغرام من دقيق الكلس المصفى، وامزج الكلس بالماء مزجا شديدا، واترك المزيج أربعا وعشرين ساعة، ثم عد إليه تجد منهما من الكلس قد رسب في قعر الوعاء، فقطر الماء قليلا قليلا إلى وعاء آخر، ثم ضع فيه البيض واجعله في مكان رطب قليل

الضوء، وبهذه الطريقة يحفظ البيض ستة أشهر، بشرط أن تكون البيضات المقصود حفظها جديدة.

نصائح لحفظ البيض من الفساد

خذ جزءا من القلفونة وهي صمغ الصنوبر، أو أحد الصموغ الموجودة، ودقه ناعما، وضعه في عشرة أجزاء من السبيرتق أو العرق مدة يومين، فيصير صالحا لدهن ظاهر البيض بالشعرية الفرشاة، ومتى جف كان دهانا يحفظها من الفساد طويلا.

ادهن البيض بمادة شحمية أو بزيت كزيت بزر الكتان، فتحفظه شهرا.
خذ مشبع عشرة أجزاء الكلس المطفي، وجزء من السكر، وغطس البيض فيه مدة أسبوعين.
خبئ البيض في ناعم الرماد أو النشادر أو دقيق الفحم، فيحفظ طويلا. اهـ

رؤيا سيدتنا الوالدة

رؤيا سيدتنا الوالدة لوالد والدنا البركة سيدي الحاج عبد الرحمان سكيرج[1] بعد وفاته: رأت الوالدة سيدنا الجد المذكور بعد وفاته مستلقى على قفاه كأنه في فراش أعدَّ له لمباشرة عينيه، فرأت عينيه تفوران، فتكلمت معَه ثم تذكرت أنَّه توفّى، فقال له يا سيدي كيف وَجدتَّ الحال؟ فقال لها مجيبا: أمَا ومن خير عند الله، فاستيقظت من الفرح الحاصل لها بهذه البشارة، وكانت تقول: من الوقت الذي قال لي ذلك لم يبق عندي خوف من الموت، واستوت عندي الحياة والممات.

عمامة الشيخ التجاني رضي الله عنه

كانت عمامته قدس سره على ما بلغنا على لسان الثقة من الثوب المعروف بالمطيب، وهذا الثوب كاد أن ينقطع، وهو من الكتان الغليظ، ذات عشرة أدرع، ويكورها على قلنسوة حمراء من تحتها قلنسوة بيضاء، ويغرز طرفها بإبرة حتى لا تنحل، وَيلفُّ عليها حبلا رقيقًا من الوَبَر على عادة أهل الشرف الوطني[2]، وقد تبركت بحبل من الحبال التي كان يلف بها عمامته، وجعلته على رأسي، ولويته على عنقي في وسط جماعة من الإخوان، من جملتهم محبنا الأعز المرحوم السيد الحاج محمّد فتحا بن المدني القباج[3]، وهذا الحبل كان على ملكه، وقد أدرجهُ في عنقي وعنقه، وهذا الرجل من الفانين في محبة الشيخ رضي الله عنه، وقد

---

[1]- سبق التعريف به في الجزء الأول من هذا الكتاب.

[2]- في كناش العارف بربه سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي، قال الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح : كان سيدنا الشيخ رضي الله عنه يخيط عمامته من وراء لئلا تشغله في الصلاة إذا انفكت. وهي شقة كاملة من الثوب الرفيع. قال العلامة سكيرج : وهي عند المقدم الآن من النوع المسمى بالمطيب، ومقدار طولها عشرون ذراعا.

[3]- ترجم له العلامة سكيرج في كتابه الرحلة الحبيبية الوهرانية، وقال فيه بعد كلام : ويكفيك فيه أنه من أبناء خدام الحضرة التجانية من السادة أولاد القباج. ودارهم دار الشيخ رضي الله عنه في الحضرة الفاسية، ينسبون إلى الشيخ رضي الله عنه بجميع ما لهم من أولاد وأهل وفرع وأصل، قد لحظتهم عين العناية فكانوا من خاصة المنتسبين لهذه الحضرة التجانية، حيث استغرقوا أعمارهم في حب الشيخ رضي الله عنه وحب من انتسب إليه الخ ... انظر الرحلة الوهرانية للعلامة سكيرج ص 19.

أفضى به الإستغراق في المحبة إلى الجذب الذي اتَّصف به آخر عمره بنحو أربع سنين، وَقد توفي رحمه الله عام 1333هـ، وحول هذا المقام أنشدت مخاطبا لسيدنا رضي الله عنه وأرضاه وعنا به[1] :

حبلي بحبك لا يزال منبرمـــــا رغما على أنف من يراه منصرمـا
ومنك أسديت لي أجل مكرمـــة بها أعز كرامـــة لدى الكرمـــا
أدنيتني منك في سر وفي علـــن فنلت أقصى المرام منـك والنعمـا
مولاي يا أحمد بن سالم سنــدي يا سيدا كل من به احتمـى سلمـــا
ربطت رأسي بحبل كنت تربطه من فوق هامة فضل قد علت هممـا
وقد تيقنت أن السعـد ساعدنــــي بنيـــل سر بذاك أمـــره عظمـــا
وذاك طبق اعتقادي فيك يا أملـي حبلي توثق في حبـل بك انبرمـــا
بالله لا تقطع الحبل الذي اتصلت به حبالي وكن لي راعيـا ذممـــا
فقد بلغت مقاما ليـــس يـدركه سواك دنيا ولا أخرى لدى العلمـا
ألسـت أنت إمام الأوليا وبك الـمــــــــــولى الولاية في الدارين قد ختمـا
وقد رجوتك في دنيا وآخــــرة لكل أمر مهـــــم كلمـــا دهمـــا
وَحاش أن لا أنال فوق أمنيتـــي من بحر جودك وهو يكشف الغمما
والمصطفى لك قد أدى ضمانتـه بنيلك المبتغى طبق الذي علمـــا
صلى عليه الإله دائمـــا وعلى آل وصحب ومن به قد احترمــــا

وكان رضي الله عنه يجعل عليها طيلسانا شالا يسدلهُ على رأسه ويمر به تحت حنكيه وَعنقه الشريف، وربَّما لف عليه حبله الوبري وربما لفّ الحبل فوق ليّة حائكه، وَكان رضي الله عنه يجعل في بعض الأحيان حرزا بين ليات عمامته لسر باطني يقصده بذلك، ومما بلغنا أنه رضي الله عنه وضع عمامته يوما بجنبه، فَانتهز الفرصة أحد الخاصة من الأحباب بوضعها على رأسه تبركا، فأصابه في الحين صداع كبير، فالتفت الشيخ وَقد رآه فقال له: آذيت نفسك، فصار يتملق بين يديه في كشف ما نزل به، فدعا له فحفظه الله من استصحاب الألم، وما ذاك إلا للسر الذي حملته من ملابسة الرأس الشريف.

برنوس الشيخ رضي الله عنه وكساؤه

كان الشيخ رضي الله عنه يلبس سلهامًا من الوَبر في بعض الأحيان، وفي بعض الأوقات يلبسه من الصّوف، يدخله في عنقه، ولا يجعله على عاتقه من غير أن يدخله في عنقه،

[1]- قال العلامة سكيرج : ومما وقع لسيدي الحاج علي أملاس مع سيدنا رضي الله عنه ما حدثني به بعض أحفاده أنه دخل على سيدنا رضي الله عنه والحجام يحسن له، ورأى عمامة سيدنا رضي الله عنه فوق الأرض منزلة، فأخذها وجعلها فوق رأسه ليتبرك بها، فبمجرد جعلها عليه أحس بخروج عينيه من موضعها من فرط ما حملته من السر، لمسها لرأس سيدنا رضي الله عنه، ثم إنه جعل يديه عليها وصار يصيح، فرآه سيدنا رضي الله عنه، فقال له : ما حملك على هذا ؟ ونزعها من رأسه، وصار يطلب له من الله اللطف لئلا تتلف عيناه من فرط التجلي الذي حصل له بسبب ذلك، وبقي مريضا مدة إلى أن شفاه الله تعالى. انظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 272.

ويضرب بطرفه على رأسه لتغطية وجهه عندما يريد أن لا يرى أحد وجهه، وبالأخص عند مروره بين النسوان وقت زيارته ووعظه لهن[1].

ولون برنسه البياض، وكَان يتخيّل لي أنّه أسْود، ولا يبعد أن يكون عنده، وله برنس كذلك من صبغة الرحمان، وأما لون الوبر فهو معروف، وكان يلبسه سفرا وحضرا، ولباس البرنس من لباس السلف الصالح، ففي العتبية قال مالك : سمعت عبد الله بن أبي بكر وكان من العباد وأهل الفضل يقول: ما أدركت الناس إلا ولهم ثوبان، برنس يغدو به، وخميصة يروح بها، قال القاضي أبو الوليد ابن رشد : البرانس ثياب في شكل الغفائر عندنا، مفتوحة من أمام، تلبس على الثياب في البرد والمطر، وأما الخمائص فهي أكسية من صوف رقاق معلمة وغير معلمة يلتحف بها، كانت من لباس الأشراف في أرض العرب الخ ... كما كان له رضي الله عنه كساء يلتحف بها، وكان يعقد طرفها بحزامه حتى لا تنحل عن كتفه، وكانت من النوع الرفيع والسدي الرقيق المتنافس في عمله للأكابر.

نعل الشيخ رضي الله عنه

كانت نعل سيدنا رضي الله عنه من النعال المعروفة عندنا بفَاس بالنعال المشيطة، وهي الجنس الرفيع من النعال في وقته، تشابه النعل الشريفة في الهيئة، فكان رضي الله عنه يلبسها مدة قليلة ثم يلتمس الأصحاب منه أن يتحفهم بها، فيلبس بدلها جديدًا، وما رئيت في رجله الشريفة نعل بالية، وذلك حالة ركوبه ومشيه راجلا، مما ازداد به حسَّاده عجبا من الترفه الذي لم يظفروا منه بأقل قليل، وقد تشرفت بالتبرك بنعله اليسرى عند محبنا الأعز السيد أحمد بن الحاج محمد بن المدني القباج[2] . وباليمنى عند عمه المحب الصادق السيد محمد فتحا القباج، وتشرفت بالنعل الشريف التي عند الشريف الجليل سيدي إبراهيم بوطالب.

---

[1]- حول هذا الموضوع ذكر العلامة سكيرج في كتابه كشف الحجاب ما نصه : وكثيرا ما كان سيدنا رضي الله عنه يدخل لدار صاحب الترجمة (عم العباس بن الغازي) فيجتمع عليه أهله للزيارة، فيضع سيدنا رضي الله عنه طرف سلهامه على وجهه لئلا يرى أجنبية، فإذا أكثرن عليه من طلب الدعاء وتقبيل يديه يقول لهن : بركه بركه، بمعنى يكفي يكفي، يأمرهن بالكف عنه، وكذلك كان رضي الله عنه يفعل في عشية الجمعة بالزاوية المباركة إذا كان خارجا منها، فإنه يذهب وحده للموضع الذي كان جعله لهن، لئلا يزدحمن بباب الزاوية فيحصل بذلك الضرر الديني من ازدحام النساء والرجال في الدخول والخروج، فإذا ذهب لناحيتهن يجعل على وجهه طرف سلهامه، فيزدحمن عليه للزيارة، فيدعو لهن بصلاح الأحوال دنيا وآخرى ويعظهن ويذكرهن إلخ ... أنظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 311.

[2]- أحمد بن الحاج محمد بن المدني القباج، فقيه جليل، من مواليد مدينة فاس عام 1290هـ، وبها أخذ العلم والمعرفة، ثم انتقل لمدينة وهران عام 1320هـ، وذلك بقصد مزاولة التجارة بها، وقد توسع العلامة سكيرج في ترجمته في كتابه الرحلة الحبيبية الوهرانية ص 21-32. وكذلك في كتابه رياض السلوان ص 21.

وكنت عملت في ذلك أبياتا ذكرتها في الرحلة الوهرانية [1]، وتبركت بها عند أولاد السيد ابن التّاج بوجدة حيث كنت بها قاضيا، وتبركت بها عند الأمين الكاتب بدار المخزن السيد علال بن حيون[2]، ولم أعرفها عند غير هؤلاء.

وكتب لنا محبنا الأديب الغطريف السيد **الحاج الطيب عواد السلوي**[3] بعدما استعار مني جزءا من تاج العروس:

يا من به تسلو النفوس	عن الفها وعن العـــروسْ
لا زلتُ نشوانا بمـــــا	دونتَه لا بالشمـــــــوسْ
وأفاقني من نشوتـــــي	من رمت من تاج العروسْ

وقال في مدح سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه:

قالوا مدحت الشيخ قلت بدِيهـة	كل اليراع عن اختطـــاط مناقبه
وغدا البليغ أخو الفصاحة باقلا	لا يستطيع الدهر وصف مشاربه
أوما علمت بأنه الغوث الــذي	سعد الذين تمذهبـــوا بمذاهبـــه

رائية الإمام الساحلي رضي الله عنه:

أيا طالبا يبغي الترقـــــي بالذكــــر	أصخ نحو إيضاح أتـــى لك بالـــدر
لئن كنت بحاثا عن المسلـــك الـــذي	سلكته فاسمع ما أنـــصُّ من الأثـــر

---

[1] - انظر الرحلة الحبيبية الوهرانية للعلامة سكيرج ص 31. وقد قال في آخر هذه القصيدة :

لـلـه مــن شـيـخ يـفـوز مـريـده	بـمـناه مـهـما حـل رحـب منـاره
إنـــي لأحـمـد خدمـتـي لجـنابه	بـمـدائح نـظـمت بسـلك نـظـاره
إن كـان يـومـا فـاتـني منه الـلقا	مـــا فـاتـني الآيــات مــن آثـاره
فـأنا الـذي فـي حـبه أصبحت لا	أبـغي سـوى التعطير من أخباره
إن لـم أكـن قبلت أخـمص رجله	فـلـقد ظـفـرت بـلـثم نـعل يساره
وبـموطئ الـقدم الشريفة كـحلت	عيـنـاي مــنـه تبـركـا بـغـبـاره
وبـذاك آمـل أن أفـوز بـمطلبي	دنـيا وأخـرى كـي أرى بـجواره
وأكـون مـلـحوظا بـعين عـنـاية	في الدهر لا أخشى جميع شراره
متوسلا في ذا بشيخي المرتضى	وبـجـاه مـــا قــد نـال مـن أذكـاره
وبـجاه ما قد نال من خير الورى	مـن فيض عـرفان ومن أسراره
فـعليه خـيـر تـحية لا تـنـقضي	تـغشى جـميع الآل مـع أنـصاره

[2] - الكاتب الفقيه السيد علال بن عبد الرحمان بن حيون الفاسي، من مواليد مدينة فاس عام 1284هـ، تقلب في مناصب مخزنية بارزة منها أمين للأملاك والمستفادات المخزنية برباط الفتح. وبعدها عين كاتبا بوزارة المالية بالأعتاب الشريفة. وهو حفيد السيد الحاج محمد بن حيون أحد أصحاب وأحباب الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 105.

[3] - سبق التعريف به في الجزء الأول من هذا الكتاب.

هو المسلك العالي الرفيـــــع مكانــــه ... على طرق الإرشاد ناهيك من فخـــر
طريق سريع الفتح سهـــل مرامــــه ... يزحزح أدناس الهواء عن الصّــــدر
ويرقى به الإنسان في عالـــم العـــلا ... على السنة البيضاء والمهيــــع البر
إلى حضرة التقديــــس دون تكلـــف ... إلى منزل الإيصال نايا عن الفخــــر
تفوق به الخـــــدَّام في كـــل مشهـــد ... هنيئـــا لهم غاصوا على درر الـــدر
براهينه كالشمــــس دون سحابــــة ... لقد حقَّ بالتأييـــــد حقا وَبالنَّصـــــر
وليس لذي الإنكــــار في ذاك مدفـع ... وشد سهام الظفـــر في حالـــة النكر
طريـــــق قويـــم لاح بـــدر كمالِه ... تبلغ للجنـــــات تاتيـــك بالأجـــــر
تضمـــن أذكــــارا تـــردد خمســة ... أتينا بها نقلا عن الســــــادة الغـــر
فأولهــــا استغفارنــــا لإلاهنـــا ... ومن بعده ذكر المشفع في الحشـــــر
وثالثها الإثبــــات تهليــــل قائـــل ... ومن بعده التنزيه يتلى على الإثـــــر
وخامسهـــــــا الإفـــراد لله ربنـــا ... فكن واعيا للخمس واحضض على الستر
وَصِـلْ به ذكر المصطفى وإلاهــــه ... وإياك أن تنسى نبيـــك في الذكــــر
فما فــــاز من قد فارق البدر لمحــة ... وهل فــــاز إلا من تمسك بالبـــــدر
تعلق بأذيـــــال الذين تفرغـــــوا ... لخدمة هذا المصطفى كأبي بكـــــر
فما فارق الصديـــــق ذكر محمّـــد ... وإن كان في الأفراد كالكوكب الدري
وما نال تصديقــــا بغير حبيبـــــه ... فدع قول بدعـــــي تدنس بالـــوزْر
وخذ جملة الأذكار واكتب سطورهـــا ... بكف قبول الحق في صفحة الصـــدر
ورتب فصـــــول الذكر لا تك ناقصا ... لترتيبها مهما دعيـــت إلى النشـــــر
وإيـــاك أن ترقـــى بغير علامـــــة ... فتضطرب الأقدام منك على الفـــــور
ولا بد من شيـــخ إمــــام وقــــدوة ... يرقيك تدريجا على مقتضى الخُبـــــر
فللذكر أســـرار تلـــــوح لأهلهـــا ... وتظهر إعْلانــــا لمن عمَّ بالطهـــــر
وبالصدق والإخلاص يشرق نـورها ... فخذ في سبيل الصدق تنبئك بالسِّـرِّ
وما ترتقي الأنجـــــاد في ثمراتهـــــا ... سوى بدوام الذكر فادأب على الذكـــر
وإن شروط الذكر لا شـــــك خمســـة ... سأشرحها في النظم نصا كما أدري
فتركك للإسراف في الأكـــل واحـــد ... فدونك جنب ما يـــؤول إلى الضـــر
وثاني شروط الذكر إيثـــار خلـــوة ... ففي خلوات الذكر يربـــح ذو تجـــر
ومن بعدها استقبال بيـــــت إلاهنـــا ... ورابعها استعمـــال ذاك على طهـــر
وخامسها يا مظهــــر الجد مقصـــــد ... عليه بناء الذكر في مجلـــس الـــذكر
ولا بد في هذا من إعمـــال سبحـــة ... تنظمها وِترًا فحافـــــظ على الوتـــر
كما أن سد العين في الــــورد لازم ... وإلقاء رأس الذل في وسط الحجـــر
فحافظ على الأوراد ما دمت جاهـــدا ... وخذ يا أخي تلقـــاء واعيــــة اليسْر
وقسّم على وقتيـــن وردك يا فتــــى ... فذلك مخصوص بمبتدئ يســـــري
وخذ نصفه بين العشاءيـــــن خاليـا ... وخذ نصفه الثاني على أثر الفجـــر
وَصن أذنا تصغى لقولــــــة لائـــم ... وَجالس خيارا لا يميلـــــون للشـــر
وخذ في سبيل الصمت عن كل قاطع ... فإن كنت لا تقوى فجاهد على الصبر
فما الربح إلا في مخالفـــــة الهَـوى ... وما الجد إلا مالك النفـــس بالقهـــر
وما نفد السبـــــــاق إلا بخمســـة ... بها نهض السباق فانهض على الإثر

فأولهـــا منـــع لنفـــس غبيـــة   عن الشهوات الداعيات إلى الخســر
كذلك غض العيـــن عن كل قاطـع   كما بين الرحمان في محكم الذكـــر
وإشغال قلب في مراقبـــة الـــذي   يرى حضرة الإخفاء في منزل السرّ
يليها على التدريج تزييـن ظاهـــر   بسنة مختار دعانـــا إلى الأجـــر
وأكل حلال فهو ســـر طريقنـــا   فجاهد على كسب الحلال مدى الدهر
فإن قلت لا يلفى حـــلال بموضـــع   فكل أكل محتاج عديـــم ومضطـــر
ولكن من بعد الحراســـة دائمـــا   وبعد اجتهاد منك في حيــز الحَظـر
وإياك أن تبســط يمينـــك آخـــذا   لتحفة خوان وإعطـــاء ذي جـــور
وكن راضيا بالفقـــر لا تك مكثـرا   وجرد ثياب الحرص فيها على الظهر
فإن رسول الله ســـرا وجهـــره   رمى زهرة الدنيا ومـــال إلى الفقر
فكن تابعا للمصطفـى في فعالـــه   وأصحابه الأخيار والأنجم الزهـــر
فما صحت الدعوى بحـب محمَّـــد   لمن خالف الهادي ومال عن الأمْـــر
فآيـة صـدق المولعيـــن بحبـــه   مساعدة المحبوب في السر والجهـــر
إليك ينـــادي الساحلـــي تضرعا   لتشرح لي صدري وتغفر لي وزري
وعفوك أرجـــوه لأمـــة أحمـــد   عليه صلاة منك تترى إلى الحشـــر
وأفضل تسليـــم عليه ورحمـــة   وأصحابه أهل السيـــادة والفخـــر

.إهـ..

من **الذخيرة**[1] هذه الأبيات أسفله:

محمَّد بشـــــر لا كالبشـــر   بل هو كالياقوت بين الحجـــر
محمَّد بشـــــر لكنـــــه   أبهى من البدر ونور الغُـــرر
محمَّد بشـــــر لكنـــــه   أبهى من الشمس ونور القمـر
محمَّد بشـــــر لكنـــــه   مصباح نور في الوجود انتشر
محمد أبهـــى وأجمـــل من   غرة فجر لاح بيـــن الطـــرر
محمد أبهـــى وأجمـــل من   شقائق النعمان بين الزهـــر

---

[1]- ذخيرة الغني والمحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج، من تأليف العلامة الصوفي الشهير سيدي محمد المعطي بن صالح الشرقي، تقع في سبعين جزءًا، قال في مطلع جزءها الأول ما نصه: لما رأيت ما في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الفضائل والخيرات، والبشائر والأنوار والشوارق ولوائح المسرات، ووقفت على ما في كتب القوم من غرر الصلوات، ونفائس التحيات، حركني حامل الحب الذي لا يُرَدّ وارده، وجذبني عامل الشوق الذي لا يكتم شاهده، أن أدلي دلوي بين المحبين المادحين، وأرسم شكلي في توقيعات المحبوبين المقربين. إهـ..
واستمر في تأليفه لأسفار هذه الذخيرة مدة تناهز عشرين سنة، إذ لم ينتهي منها سوى قبيل وفاته بقليل، وفي حق هذا الكتاب وصاحبه يقول بعضهم: امتزجت فيه محبة النبي صلى الله عليه وسلم بلحمه وعظمه، وشعره وعروقه ودمه، وقال في تقريظها بعض علماء المشرق:
الغرب شيء نفيس   ولي عليـه أدلـــه
الشمس تغرب منه   ومنه تبدو الأهله

محمد أبهـــى وأجمــــل من	فرائد المرجان بين الـــــدرر
محمد فذ العـــــلا والبهـــى	واسطة العقد ونور البصـــر
محمد غرة لـــوح الهــــدى	وبهجة النفس وروح الصــور
محمد بين الـــورى جـوهر	فرد وما مثله حسنا ظهـــــر
محمد نـــــوراني ملـــــك	روحاني بشر لا كالبشــــــر
صلى عليه الله ما طلعـــــت	شمس وما هب نسيم السّحــر
والآل والأصحاب ما غردت	جامعة الورق وفاح الزَّهـــر

ومن رسالة وجهتها للسيد الحجاز بن مدثر ابراهيم الحجاز[1] بعد كلام:

وقد ألقيت طلبكم بين يدي من لا يرد السائل ولا يبخل، فعسى أن يجيب وقد أجاب بلا شك وفعل، ففي الحديث القدسي: أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما شاء[2]. نعم، إن بروز المظنون للعيان منوط بأوقات لا تتعداها لحكمة اقتضتها المقادير، ولو كشف الغطاء لرأى الطالب مطلوبه مقبلا بحركة إذا وَزَنَهَا وَقَدَّرَهَا تحقق أنه سيصله في الوقت الذي لا محيد عنه ولا خروج عنه البَتة، وقد تطوى المسافة لبعض أهل الخصوصية طيا في الزمان والمكان، ولا يبعد أن يكون لكم الحظ الأوفر من هذا المشرب بالدعاء لكم في ظهر الغيب بما لكم من حسن الظن، ولا عجب في فتح باب القبول، بتعجيل قضاء المأمول، وبلوغ السول في الوصول، غير أن الحكمة الربانية رتبت الأمور وأناطتها بأسباب لا بد منها، والتوفيق للعمل عليها من قبيل الأخذ باليد، فتحرك يا ولدي حركة العبد الذي لا يعتمد عليها، واعمل بها فيأتيك المطلوب طبق ما تطلبه. ألا ترى أن العلم اللدني فإنه يرد من الحضرة القدسية على مورده بوارد الإلهام، ولا بد فيه من تقدم اجتهاد نفس بطلب، ولو بلا إخلاص في العمل، وإن كان السر في الإخلاص

وإن سر الله في صدق الطلب	كم ريئَ في أصحابه من العجب

نعم لا يوجد العمل إلا بحال، ولا حال إلا بالعلم لأنه:

كل المقامـــات عن ثلاثة صـــــــدرت	العلم ينتج حالا وهو للعمــــل
والحسن في الأصل حسن في النتائج لا	ياتيك من حسن إلا بنسل عَلي[3]

ولا بد في العلم من حركة، وبتعاطي مقدماته وآلاته بقريحة ذات كد وإلحاح، ليحصل النجاح، وقد قيل قديما:

---

[1]- سبق التعريف به في الجزء الأول من هذا الكتاب.

[2]- أنظر صحيح البخاري (كتاب التوحيد) باب قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه. رقم 7239. صحيح مسلم (كتاب الذكر والدعاء). باب الحث على ذكر الله تعالى. رقم 6756.

[3]- البيتان للعلامة سيدي عبد الكريم بنيس، قالهما ضمن نظمه للحكم العطائية المسمى: الواضح المنهاج، في نظم ما للتاج. ورقم هذين البيتين 140 و141.

أخلق بذي الصبر أن تقضى حوائجه   وَمُدْمِنُ القرع للأبواب أن يلجا[1]

و قد نصح العربي منصوحه في قوله:

اطلب ولا تضجر من مطلب   فآفة الطالب أن يضجـــرا
أما ترى الحبل بتكـــــراره   في الصخرة الصماء قد أثرا[2]

فأقبل على طلب العلم بوجه القبول حتى ترى القابلية فيك متمكنة، ولا يهمك ما يتراءى لك في بادي الأمر من صعوبة التحصيل لمعقول أو منقول، فلَتحصيل فائدة واحدة في كل يوم أحب إليك من حمر النعم، والعلم كما علمته إن أعطيته كلك أعطاك بعضه، وإن أعطيته بعضك لم يعطك شيئا، هكذا قالوا، ولكن نقول لا يهولك هذا، فإنك إن أعطيت العلم بعضك أعطاك منه ما لم يعطك الجهل، فَحُسِبْتَ من العلماء وحشرت في زمرتهم، فكن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك[3]، ولا يزال الرجل عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه علم فقد جهل، فلا بد من أن تلقي دلوك مع الدلاء لأنه:

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه   وليس عليه أن يساعده الدهر [4]

وفي طلب أهل الدنيا لدُنياهم عبرة لطالب العلم مع أن علياه أعلى من علياهم (فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل[5]) واقبل على ما يغنيك بحسن العمل تنل فوق الأمل، فهم يتنافسون في الدنيا

---

[1]- من أبيات للشاعر محمد بن حازم بن عمرو الباهلي، أحد شعراء العصر العباسي، قال في مطلعها:
ماذا يكلفـــك الروحـــات والدلجــــا   البر طورا وطورا تركب اللججا
كم من فتى قصرت في الرزق حظوته   ألفيته بسهام الـــرزق قد فلجـــا

[2]- ذكر هذين البيتين صاحب كتاب كشف الخفاء ومزيل الإلباس، عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (حرف العين) عند حديث: العلم في الصغر كالنقش في الحجر. رقم 1557. قال فيه: قال ابن الغرس: لكنه قد يثبت في الكبير بالتكرار الكثير (يعني طلب العلم وحفظه لدى الشخص الكبير المسن) وشاهده قول القائل:
اطلب ولا تضجر من مطلب   فآفة الطالب أن يضجـــرا
أما ترى الحبـــل بتكـــراره   في الصخرة الصماء قد أثرا

[3]- إشارة لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أُغْدُ عالمًا أو متعلِّمًا أو مستمعًا ولا تكن الرابع فتهلك. رواه الدارمي في سننه (كتاب النبي صلى الله عليه وسلم) باب في ذهاب العلم رقم 253.

[4]- وقفت على تشطير جميل لهذا البيت من طرف الشاعر محمد الهلالي صاحب المنظومة، ونصه:
على المرء أن يسعى لما فيه نفعه   ويضرع للباري إذا مسه الضر
وحقا عليه أن يسلم للقضا   وليس عليه أن يساعده الدهر
فإن نال بالسعي المنى ثم قصده   ودامت له النعماء وانجبر الكسر
وإن أنكر الأسباب فاصدعه لائمًا   وإن صدَّهُ المقدور كان له العذر

[5]- هو الشطر الثاني من آخر بيت من قصيدة لامية العجم، للحسين بن علي الطغرائي، وتمام هذا البيت كالتالي:
قد رشحوك لأمر إن فطنت له   فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

ببذل نفيس أنفسهم، فكيف لا يبذل العاقل نفسه في تحصيل ما هو أفضل، ويحيى به بقدر ما حصل:

أخو العلم حي خالـــــد بعد موتــــــــه وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يُظَنّ من الأحياء وهو عديـم[1]

ولستُ بحاض عليك في الإعراض عن تعاطي الدنيا بالأسباب، والدخول على العلم من كل باب، حتى يكون تعاطيه مانعًا لك من نصيبك منها في الظاهر، فتكون عالة على الناس

وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل[2]

والله يقول "ولا تنس نصيبك من الدنيا"[3]، كيف لا وهي مطية للآخرة، ولكن كن من الشره وشرها على حذر، ولا تمنن تستكثر، وقد كان الصحابة يحترفون، وإن الله تعالى يحب العبد المحترف، ويكره البطال، وقليل العيش مع الراحة واطمئنان الصدر أفضل من التشوف للاستكثار، فمن لم يقنع لم يشبع.

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع[4]

وأحسن تجارة للشخص تعاطي ما لا يصير به تحت سيطرة الغير، والحر لا يرضى بما يوقفه في الضير وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، فلا تبع مروءتك بأجرة استخدام مع من لا يرعى حرمتك، وخير الحرف ما واتاك وأتاك بجلال ولو قل، والله المسؤول أن يلهمك رشدك، ويبلغك في الدارين قصدك.

إهـ

---

[1]- البيتان للشاعر العربي الأندلسي عبد الله بن محمد المشهور بابن السيد البطليوسي.
[2]- هو البيت الثامن والأربعين من قصيدة لامية العجم للحسين بن علي الصغرائي.
[3]- سورة القصص، الآية 77.
[4]- البيت للشاعر العربي المخضرم خويلد بن خالد، المشهور بأبي ذؤيب الهذلي، وهو البيت السادس عشر من قصيدته العينية التي يفتتحها بقوله:
أَمِنَ المنونِ وريبها تتوجَّعُ والدهر ليس بمعتبٍ من يجزعُ